|  |  |
| --- | --- |
| |  | | --- | | **إرهاصات التوبة**  **كمال خليل**  **باحث دراسات إسلامية**  **دائما ينتظر المسلم مواسم الخير وأيام البر والمغفرة، من أجل أن يجعلها محطة غسيل لذنوبه، وتطهيرا لنفسه من أدران عام مضى، أو فترة من الغفلة مرت عليه، لم يعصم فيها من ذنب، ولم ينج فيها من شيطان رجيم يوسوس له، ويكيد، ويجلب عليه بخيله ورجله، إلا أن ذلك يستلزم إرادة قوية وهمة عالية، ومن يريد ذلك فيجب عليه أن يتبين الإرهاصات والعلامات والدلالات التي تؤكد صدق نيته، وصحة توجهه.**  **هذه الإرهاصات تتمثل في عدة أمور منها مقت ما عليه من ذنب، وتركه، والعزم على عدم العودة إلى ذلك مرة أخرى، وذلك لا يتحقق إلا بالبعد عن أماكن اقتراف الذنوب وكبح جماح النفس على الاستقامة والتعود على بيئة صالحة تعينه على هذه الاستقامة، ليس في رمضان فحسب، وإنما في مستقبل حياته كلها.**  **ومن إرهاصات التوبة مفارقة الخليل الذي يضر ولا ينفع، ويجر صاحبه جرا إلى المعصية، فالصاحب ساحب، والنبي  " صلى الله عليه وسلم"  يقول: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» (رواه أحمد عن أبي هريرة)، فالصاحب والجليس من أشد المؤثرين على سلوك الإنسان، إما بالخير، وإما بالسوء والشر، فلاريب أن الإنسان يطاله من هذا الخير أو هذا الشر الآتي من الصاحب والجليس، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري  "رضي الله عنه" قال: قال رسول الله  " صلى الله عليه وسلم" : «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة»، فيا من تريد التوبة فارق كل خليل يدلك على السوء، فذلك برهان أكيد على صدق نيتك وتوبتك.**  **كذلك يتبع مفارقة صاحب السوء ترك البيئة المشجعة على المعصية مهما كلف الإنسان ذلك، فإذا فسد دين المسلم فلا يبقى له شيء بعد ذلك، إذ كيف يريد المسلم صلاحا وكل ما حوله ومن حوله يدفعونه إلى الهلاك دفعا، ولنا في السنة المطهرة أبلغ دليل على ذلك، روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري  "رضي الله عنه"  أن نبي الله  " صلى الله عليه وسلم"  قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مئة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».**  **ففي الحديث دليل على أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تؤثر فيه ويتأثر بها حسب صلاح أو فساد تلك البيئة.**  **ومن إرهاصات التوبة المسارعة إلى الخيرات، فذلك من صفات المؤمنين ومع هذه الخيرات والطاعات، الدعوات الصادقة، والخضوع لله تعالى والتذلل إليه بقبول تلك الأعمال قال تعالى: { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ  إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا  وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (الأنبياء:90)، وفى شهر رمضان ينادي الله تعالى على خلقه: «يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر»، فكم من أبواب الخير تفتح في رمضان تنتظر الداخلين فيها، فمن صلاة مفروضة ومسنونة إلى صيام إلى صدقة إلى تلاوة وتدبر للقرآن الكريم إلى إفطار صائم إلى غير ذلك مما يصعب حصره في أسطر محدودة.. فسارع إلى الخيرات، وكف أيها التائب عن المنكرات، فذلك برهان لك ودليل على استقامتك.**  **ومن إرهاصات التوبة أيضا وصل المقطوع من الأرحام، وبدء السلام على من تواصل هجرانه، فذلك يعطيك الخيرية عند الله «فخيرهما الذي يبدأ بالسلام»، وإذا أردت الظهير والنصير من الله فبادر سريعا إلى صلة رحمك، حتى وإن كنت المظلوم، حتى وإن كان الحق معك، روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده والطبراني في مسنده عن أبي هريرة  "رضي الله عنه" ، قال: أتى رجل، فقال: «يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، ويسيئون إلي وأحسن إليهم، ويجهلون علي وأحلم عنهم. فقال رسول الله  " صلى الله عليه وسلم" : «لئن كان كما تقول، فكأنما تسفهم المل ولا يزال من الله معك ظهير، مازلت على ذلك». ولابد أن تعلم أخي التائب أن أولى الناس بالبر والصلة هما الوالدان، وأن تعلم مع ذلك أن قطع الأرحام إفساد في الأرض كما سماه الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } (محمد:22).**  **أما أعظم إرهاصات التوبة، فرد المظالم إلى أهلها، أو استحلالها منهم، إذ ليس من المقبول أن يدعي المسلم التوبة، ووراءه من ظلمهم، أو نهب أموالهم، أو انتهك أعراضهم، فهذه من حقوق العباد التي لا تسقطها التوبة إلا بردها أو طلب العفو من أصحابها.**  **إن محطة شهر رمضان ينبغي أن يتوقف أمامها المسلم طويلا، لينهل ما استطاع من الخير، ليكون له زادا يؤهله للمسير طوال عام مقبل بما فيه من مغريات وشهوات وشبهات، وليكون ماحيا لعام مضى بما فيه من أوزار وخطايا وسيئات.** | |